

التبيان في تفسير القرآن

(77) باجلال الناس لهم ونسبهم إياهم إلى العلم. وقال الضحاك، والسدي: نزلت في اليهود حيث فرحوا بما أثبتوا من تكذيب النبي (صلى الله عليه وآله). وقال سعيد بن جبیر: فرحوا بما أتى آل إبراهيم. وقال ابن عباس: إن النبي (صلى الله عليه وآله) سأله عن شيء، فكتموه ففرحوا بكتمانهم، وأقوى هذه الأقوال أن يكون قوله: " لاتحسن الذين يفرحون " يعني بها من أخبر الله عنهم أنه أخذ ميثاقهم ليبين للناس أمر محمد (صلى الله عليه وآله)، ولا يكتمونهم، لان قوله: " لاتحسن الذين يفرحون " في سياق الخبر عنهم وشبهه بقصتهم مع أن أكثر أهل التأويل عليه. وقال الجبائي: الآية في المنافقين، لانهم كانوا يعطون المؤمنين شيئاً يستعينون به على الجهاد لا على وجه القرية إلى الله بل على وجه الرياء ويفرحون بذلك، ويريدون مع ذلك أن يحمدا على ذلك ويعتقد أنهم فعلوه لوجه القرية، فقال: " لاتحسن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا " بمنزلة المؤمنين الذين يفعلون الأفعال لله على وجه القرية إليه. وقال: " فلا تحسبنهم " مع ذلك بمنجاة " من العذاب " بل " لهم عذاب أليم " يعني مؤلم فحسبان الثاني متعلق بغير ما تعلق به الاول، فلذلك كرر. فان قيل: أين خبر " لاتحسن " الاولى؟ قلنا: عنه جوابان: أحدهما - " بمفازة من العذاب "، لانها مكررة لطول الكلام. وقيل: الفاء زائدة على هذا، وهو قول الزجاج. والثاني - ان الخبر محذوف، كأنه قال ناجين، ودل الخبر الاخير عليه. فان قيل: كيف يجوز أن يذم بالفرح وليس من فعل الانسان؟ قلنا ذم بالتعرض له على جهة الاشر والبطر كما قال: " لا يحب الفرحين ". قوله تعالى: (وَالْمَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (189) - آية بلا خلاف - .